﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾ [يوسف: 16 - 17]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتينِ لما قَبْلَهُما:

من أجاد المكر وصنع الحيل؛ أجاد المراوغة بشتّى السُّبل

لمّا أخلفوا أباهم ما وعدوه توجّب عليهم الاعتذار؛ فعادوا إليه وقت امتزاج اللّيل بالنّهار؛ ليخفوا عنه ما تقوله القسمات وما تنطق به الأنظار، وليكون أمشى لما يظهرونه من اللّوعة والانكسار، ولكيّ يسلموا من إلقاء الملام وتوجيه الاتّهام؛ تذرّعوا بالانشغال بما درجوا عليه من التّسابق ورمي السِّهام[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿عِشَآءٗ﴾: العَشِيُّ والعَشِيَّة: آخر النَّهار[2]. ومعناه المحوريُّ: غِشاء من ظلمة يغشى الأُفُق، ويحجب الرُّؤية[3]. والعِشَاء: أول ظلام اللَّيل، وكذلك من صلاة المغرب إلى العَتَمة[4].

ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ﴾؛ أي: جاؤوا آخر النَّهار، أول اللَّيل، وقت غيبوبة الشَّفق الباقي من بقايا شعاع الشَّمس وقت غروبها[5].

2) ﴿نَسۡتَبِقُ﴾: السَّبق: التَّقدُّم في الجري وفي كلِّ شيء، يقال: سَبَقَه يَسْبِقه سَبْقًا، أي: تقدَّمه[6]. ومعناه المحوريّ يدور حول تقدُّم

(1) الخازن، لباب التأويل: 2/517، والبقاعي، نظم الدرر: 10/29، والزحيلي، التفسير المنير: 12/224،
(2) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (عشا).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (عشا).
(4) الراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (عشا).
(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 9/144، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 3/158، والآلوسي، روح المعاني: 6/390، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/236.
(6) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن منظور، اللسان: (سبق).

الشَّيء على غيره من بين مَنْ حوله[1]. ويقال: لفلان سابقة في هذا الأمر: إذا سبق الناسَ إليه[2].

والاستباق: التَّسابق. ومنه قوله تعالى حاكيًا قول إخوة يوسف: ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾. أي: نَنْتَضِل ونتسابق في الرَّمي[3].

3) ﴿مَتَٰعِنَا﴾: مَتَع النهار يَمتَع مُتُوعًا: ارتفع وطال، وذلك فيما يكون قبل الزوال. والماتع: الطَّويل من كلِّ شيء[4]. وأصله يدور حول معاني المنفعة وامتداد مدَّةٍ في الخير[5].

والمتاع: كلُّ شيء يُنتفع به انتفاعًا ممتدَّ الوقت، ويُتَبَلَّغ به ويُتَزَوَّد، والفناء يأتي عليه في الدنيا. والمتاع أيضًا: ما يستمتع به الإنسان في حوائجه من أمتعة البيت ونحوه من كلِّ شيء[6]. فمن ذلك قول الله تعالى حاكيًا ما قاله إخوة يوسف لأبيهم: ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾؛ أي: عند ثيابنا حارسًا لها؛ لأنَّ الثياب ممَّا ينتفع به، فتكون متاعًا[7].

4) ﴿بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾: الأمن والأمان: ضدُّ الخوف، والفعل منه، أمِن يأمَن أَمْنًا وأَمانًا[8]. وأصله من الأمانة ضدُّ الخيانة، ومعناها سكون النَّفس وطمأنينتها[9]. ويقرب منه جدًّا الإيمان بمعنى: التَّصديق؛ لأنَّ المصدِّق تسكن نفسه لما يصدِّق به[10].

"والأصل في الإيمان الدُّخول في صدق الأمانة التي ائتمنه الله عليها، فإذا اعتقد التَّصديق بقلبه كما صدَّق بلسانه فقد أدَّى الأمانة، وهو مؤمن. ومن لم يعتقد التَّصديق بقلبه، فهو غير مؤدٍّ للأمانة التي ائتمنه الله عليها، وهو منافق"[11].

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (سبق).

(2) الزبيدي، تاج العروس: (سبق).

(3) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (سبق).

(4) الخليل، العين، وابن فارس، المجمل، والجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (متع).

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (متع).

(6) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (متع).

(7) البغوي، معالم التنزيل: 2/480، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 9/148، والخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل: 2/517، والآلوسي، روح المعاني: 6/391، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/236.

(8) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (أمن).

(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أمن).

(10) الخليل، العين الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (أمن).

(11) الأزهري، تهذيب اللغة، والزبيدي، تاج العروس: (أمن).

وقوله تعالى حاكيًا قول إخوة يوسف: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ يعني: ما أنت بمصدِّق لنا؛ لأنَّ الإيمان تصديقٌ معه أَمْن[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يكشف السِّياق القرآنيُّ حال إخوة يوسف وهم يُظْهِرون الأسف والجزع، ويتصنَّعون البكاء على أخيهم بعد ارتكابهم هذه الجريمة فيقول: (وجاؤوا أباهم في ظلمة الليل؛ ليكونوا أجرأ على الاعتذار بالكذب وهم يبكون ليقنعوه بما يريدون، قائلين له: إنَّا مضينا نتسابق في الجريِّ والرَّميِّ بالسِّهام، وتركنا يوسف عند ثيابنا وأقمشتنا ليحرسها، فأكله الذِّئب عقب غيابنا، وما أنت بمصدِّق لَّنا في هذا العذر ولو كنَّا موصوفين بالصِّدق؛ لشدَّة حبِّك ليوسف عليه السلام)[2].

الدموع الكاذبة وانتحال الأعذار لا يخفيان دلائل الجريمة على الأبرار

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة الواو في: ﴿وَجَآءُوٓ﴾:

الواو عاطفة، والجملة معطوفة على جملة ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ﴾ عطف جزءِ القصة[3]؛ أي: فبعد أن فعلوا بيوسف ما فعلوا قد جاؤوا أباهم مُتَلَبِّسينَ محتالين عشاء في آخر اليوم[4].

عودتهم إلى أبيهم بهذا الخبر صعب عليهم

وقد حَسُنَ الوصل هنا دون الفصل لما بين الآيات من المناسبة في المعنى: ولمَّا طرحوا يوسف في الجبِّ ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ﴾[5]؛ إذ كلٌّ منهما لبنة في بناء القصَّة، ولمَا بين الفعلين اللَّذَيْن صُدِّرت بهما الجملتان السَّاميتان من المناسبة كذلك؛ فكلاهما ماضٍ، وكلاهما خبرٌ لا إنشاء؛ فلأجل هذا حسُن الوصل وهو المعروف في البلاغة

(1) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (أمن).
(2) البغوي، معالم التنزيل: 4/222، والهرري، الحدائق: 13/336.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/235.
(4) النخجواني، الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية: 1/370.
(5) الهرري، حدائق الروح والريحان: 13/336.

بالتوسُّط بين الكمالين.

إيثار المجيء دون الإتيان:

في قوله تعالى: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ﴾ عُبِّر عن رجوعهم أو حضورهم عند أبيهم بالمجيء، وأوثر التَّعبير بـ ﴿وَجَآءُوٓ﴾ بدلًا من رجعوا، أو أتوا؛ لأنَّ المجيء فيه معنى المشقَّة والصُّعوبة، فهم قد ألقَوا أخاهم في البئر، وتكلَّفوا تلفيق قصَّة يعتذرون بها لأبيهم، وتصنَّعوا البكاء عنده، وبالغوا فيه حتى كان كأنَّه بكاء حقيقيٌّ، ولا شكَّ أنَّ في هذا مشقَّة وعناء؛ لذلك عُبِّر به دون الإتيان الذي فيه معنى السُّهولة[1].

في مجيئهم صعوبة وشدَّة

سرّ تعدّي الفعل جاء إلى المفعول بنفسه:

الفعل ﴿وَجَآءُوٓ﴾ يكون متعدِّيًا إن كان بمعنى: وصل وبلغ، كما في هذه الآية، ويُستعمل لازمًا، إن كان بمعنى: حضر وأقبل، كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ [النصر: 1][2].

يعقوب عليه السلام متلهِّف إلى لقاء ولده وقلقٌ عليه من إخوته

وفي تعدِّي الفعل بنفسه دلالة على قرب يعقوب عليه السلام منهم عند عودتهم؛ وكأنَّه كان يترقَّب مجيء أبنائه خاصَّة يوسف الصَّغير، فهم عندما جاؤوا إلى أبيهم وجدوه قبالتهم منتظرًا. وفي هذا دليل على شدَّة قلقه على يوسف وشوقه إليه وترُّقب عودته منذ وقت غيابهم.

إيثار كلمة ﴿عِشَآءٗ﴾ دون مساء مثلًا:

المساء: خلاف الصباح[3]. وهذا زمن عامٌّ وهو في هذا السِّياق غير معيَّن. أمَّا العشاء: فهو وقت غيبوبة الشَّفق الباقي من بقايا شعاع الشَّمس بعد غروبها إلى العَتَمة[4]. وكان تعيين هذا الوقت لما فيه من ظلمة اللَّيل؛ فإنهم جاؤوا عشاء ليكونوا أقدر على

الظُّلمَةُ أقدر على إخفاء الحقيقة

(1) الهلال، الثري الجامع: 5/322.
(2) الدرة، تفسير القرآن وبيانه: 4/556.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مسي).
(4) الراغب، المفردات: (عشي)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/235.

الاعتذار[1]؛ لمكان الظُّلمة التي يرتفع فيها الحياء[2]؛ ولئلَّا يتفرَّس أبوهم في وجوههم إذا رآها في ضياء النَّهار ضدَّ ما جاؤوا به من الاعتذار[3]، فقد تخدعهم حركاتهم، ويفضحهم تلجلُجهم، وتنكشف سيماهم الكاذبة أمام أبيهم؛ فقالوا: اللَّيل أخفى للوجه من النَّهار، وأسترُ للفضائح؛ ولذلك اختاروا الظَّرف الزَّمنيَّ الذي يتوارون فيه من أحداثهم[4].

وإذا كان العشاء هو أوَّل أوان الظُّلمة فإنَّه يشير إلى أنَّهم كانوا منتظرين أن يسدل الظلام ستاره حتى يأتوا أباهم بجريرتهم، وهذا يدلُّ على تبييتهم الأمر الذي سوَّلته لهم أنفسهم.

سر استعمال ﴿يَبْكُونَ﴾:

البكاء: خروج الدُّموع من العينين عند الحزن والأسف والقهر، وقد أطلق هنا على البكاء المصطنع وهو التَّباكي. وإنَّما اصطنعوا البكاء تمويهًا على أبيهم لئلَّا يظنَّ بهم أنَّهم اغتالوا يوسف ﷺ، ولعلَّهم كانت لهم مقدرة على البكاء مع عدم وجدان موجبه، وفي النَّاس عجائب من التَّمويه والكيد[5]، ومِن الخلق في الأكثر مَن يقدر من التَّطبُّع على ما يشبه الطَّبع[6]. فهم ﴿يَبْكُونَ﴾ مكرًا لإيهام براءتهم ممَّا عرض ليوسف من البليَّة بأكل الذِّئب على زعمهم[7]، وأوهموا ببكائهم وتفجُّعهم عليه إفراطَ محبَّتهم له المانعة من الجرأة عليه[8]. فجاؤوا متباكين لستر ما دبَّروا، أو باكين حقًّا؛ لأنَّ الاندفاع إلى الشَّرِّ لا يمنع الإحساس بالألم عند وقوعه، ودم الإخوة

الكذَّاب متمكن من البكاء يصطنعه متى شاء

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 9/144.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 6/390.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 10/30.
(4) الشّعراوي، تفسير الشعراوي: 11/6882.
(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 9/145.
(6) ابن العربي، أحكام القرآن: 3/39.
(7) الواحدي، التفسير البسيط: 12/44.
(8) القاسمي، محاسن التأويل: 6/158.

لا ينقطع، بل له عواقب أليمة بعد الفعل القاطع، وكان ثمَّة بكاء حقيقيٌّ من بعضهم على الأقلِّ، وهو بعض من النَّدم على ما ارتكبوا أو أثموا، وقد أحسُّوا بفظاعته، وخصوصًا عندما لقوا أباهم، فإنْ لم يكن لأجل يوسف، فلأجل أبيهم الثَّاكل[1].

دلالة استعمال صيغة المضارع ﴿يَبْكُونَ﴾:

ستارُ الكَذوب بكاءٌ يسدله مع كلِّ كذبة

أخبر الله تعالى عن بكائهم بالفعل ﴿يَبْكُونَ﴾ ولم يخبر بالاسم (باكين)؛ لإفادة تجديدهم للبكاء شيئًا بعد شيء، وهو ما يُسمَّى حكاية الحال الماضية لاستحضارها في النُّفوس، وهذا هو سرُّ الإعراض عن اسم الفاعل، فهناك فرق في الخطاب بين الاسم والفعل، إذ إنَّ الفعل يفيد التَّجدُّد، والاسم يفيد الثُّبوت[2]. فكأنَّه كلَّما انقطع بكاء أحدهم بدأ بكاء آخر؛ حرصًا منهم على استعطاف أبيهم وتأكيدًا لبراءتهم أمامه.

وفيه إشارة إلى أنَّهم استمرُّوا في بكائهم طوال الوقت عند أبيهم؛ ندمًا على جرمهم، وقد كانوا ينوون التَّوبة من هذه الجريمة بعد تمامها، كما بيَّن ذلك قول أحدهم: ﴿وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ٩﴾ [يوسف: 9].

علّة الفصل في: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ﴾:

نبي الله يسأل وأبناؤه يجيبون

فُصِلَتْ جملة ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ﴾ عمَّا قبلها؛ لأنَّ في الكلام حذفًا تقديرُه: وجاؤوا أباهم دون يوسف عشاءً يبكون، فقال: أين يوسف؟ قالوا: إنَّا ذهبنا... إلخ[3]، أو أنَّ الجملة جواب سؤال تبادر إلى الذهن؛ فكأنَّه قيل: إنَّهم إذا بكوا حُقَّ لهم البكاء خوفًا من الله وشفقة على الأخ، ولكن ماذا يقولون إذا سألهم أبوهم عن سببه؟

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3809 - 3810.
(2) الشوابكة، غرر البيان، ص: 37.
(3) أبو حيَّان، البحر المحيط: 6/249.

فقيل: ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَآ﴾[1]. فهو استئناف بيانيٌّ.

دلالة النداء في: ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَآ﴾:

الحسد يدعو إلى المكر بالمحسود، وبمَن يراعيه

النِّداء في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَآ﴾ ليس لغرض طلب إقباله؛ فقد كان معهم حين تكلَّموا إليه، ولكنْ فيه دلالة على طلبهم أن يغيثهم مما يعانون، فقد وقع بهم خطبٌ ومصاب عظيم، فلجؤوا إلى الاستغاثة بأبيهم قبل أن يسأل هو استعطافًا.

وقد نادوه باسم (الأب) المضاف إليهم ليرحمهم؛ فيترك غضبه عليهم، الدَّاعي إلى تكذيبهم[2].

علة استخدام أداة النداء (يا):

أقصاهم وأدناهم كان ينادي ويبكي

استخدمت (يا) دون غيرها لدلالتها - دون غيرها - على المنادى القريب والبعيد، ولما كانوا جمعًا (عشرة إخوة)، فيهم القريب من أبيهم والبعيد عنه - وقت النداء - عبَّر بما يتناسب مع هذا المقام؛ فالمنادِي ليس على مسافة واحدة من المنادَى.

فضلًا عمَّا تحمله الأداة (يا) من إيحاءات صوتيَّة تحاكي صوت عويلهم وبكائهم، فكأنَّها أقرب للنُّدبة.

دلالة تصدير مقول القول بحرف التأكيد:

يعلمون الحقيقة ولأجل الكذب يؤكِّدون عكسها

في قولهم: ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ تأكيد للكلام بالحرف المشبَّه بالفعل (إنَّ) الذي يغني عن تكرار الكلام مع إفادته معنى التَّوكيد.

فقالوا: ﴿إِنَّا﴾؛ لأنَّهم كانوا عالمين بأنَّ أباهم ﷺ لا يصدِّقهم لِما له من نور القلب وصدق الفراسة، ولِما لهم من الرِّيبة[3]، فالكلام موجَّه إلى مخاطَب مرتاب، فحسُن توكيده بمؤكِّد.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 10/30.
(2) القاسمي، محاسن التأويل: 6/158.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 10/30.

سرُّ استعمال ﴿ذَهَبْنَا﴾ دون (انطلقنا):

الذَّهاب هو المضيُّ، وهو سير واتِّجاه وانتقال إلى مكان آخر[1]. أمَّا المعنى المحوريُّ للانطلاق فهو تسيُّب ما كان محبوسًا في حوزة أو جوف مندفعًا منها بقوة ابتعادًا أو انبساطًا[2]، ولا شكَّ أنَّ المناسب للمقام التَّعبير بالذهاب لا الانطلاق، فالذهاب يصوِّر انتقال الإخوة العشرة من المكان الذي تركوا فيه يوسف عند المتاع إلى مكانٍ آخر استبقوا فيه؛ فانشغلوا عن أخيهم.

تَـــرْكَ الإخـــوةُ أخاهم وانتقلوا لمكان الاستباق

سرُّ استعمال الفعل ﴿نَسْتَبِقُ﴾، ودلالة الصيغة:

الاستباق: افتعال من السَّبق وهو هنا بمعنى: التَّسابق[3]. فقولهم: ﴿نَسْتَبِقُ﴾؛ أي: يتكلَّف كلٌّ منَّا أن يسبق غيره، فالاستباق: تكلُّف السَّبق وهو الغرض من المسابقة، والتَّسابق بصيغتي المشاركة (الافتعال، والتَّفاعل) التي يُقصد بها الغلب، وقد يُقصد لذاته أو لغرض آخر في السَّبق[4].

في أوان اللّهو يضيع الإنسان واجبه

والمعنى؛ أي: نشتدُّ جريًا لنرى أَيُّنا أسبق[5]؛ أي: نوجد المسابقة بغاية الرَّغبة من كلٍّ منَّا في ذلك[6]، فنترامى بالسِّهام لنرى أَيُّنا أبعد غَلْوَةً، أو نتجارَى على الأقدام لنرى أَيُّنا أشدُّ عَدْوًا، أو نستبق في أعمال نتوزَّعها مِن سقيٍ ورعيٍ واحتطاب، أو نتصيَّد[7].

وقيل: النِّضال في السِّهام، والرِّهان في الخيل، والمسابقة تجمعهما[8].

دلالة جملة ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ﴾:

تعيين المفعول بالعَلَم ﴿يُوسُفَ﴾ يدلُّ على تخصيصه بالانفراد

مَـــن ضـيَّـع الأمانة، وأهمل الـوديـعـة، فقد أعـظـم الـفـريـة الشَّنيعة

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ذهب)، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (ذهب).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (ذهب).
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/236.
(4) رشيد رضا، تفسير المنار: 12/220.
(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 9/145.
(6) البقاعي، نظم الدرر: 10/30.
(7) أبو حيَّان، البحر المحيط: 6/249.
(8) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 9/145.

عند المتاع، وذكر اسمه على ألسنتهم أمام أبيهم الآن بعد خفائه من قبل بعد ذهابهم به، فيه إشارة إلى أنَّ إخوة يوسف قد رجعوا إلى سابق عهدهم معه قبل الذَّهاب، حال الاهتمام لأمره أمام أبيهم.

فإنَّما عنوا بقولهم: ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا﴾ أنَّهم تركوه عند فضل ثيابهم وماعون طعامهم ونحوه ليحفظه؛ إذ لا يستطيع مجاراتهم في استباقهم الذي تُرهَق به قِواهم[1] فيَحْتَمِل أن يعنوا بتركه عند متاعهم إظهار الشَّفقة عليه، ويَحتمِل أن يعنوا حفظ رحالهم[2].

وفي قولهم: ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا﴾ إخلال بشروط التَّعاقد مع الأب الذي أذن بخروج يوسف ﷺ بعد أن قالوا: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ [يوسف: 12] فلم يأخذوه معهم ليرتع ويلعب كما زعموا، ولا ليأكل من ثمار الأشجار والفاكهة وهم يحفظونه في كلِّ ذلك، بل ليحفظ لهم متاعهم وهم يستبقون كما ادَّعَوا، وهذا أوَّل الكذب الذي كذبوه؛ وهذه أوَّل مخالفة لشرط إذن والده له بالخروج معهم[3].

فائدة الظرف ﴿عِندَ﴾، وإضافته إلى ﴿مَتَٰعِنَا﴾:

زعم الإخوة أن ما حدث ليوسف مما قصوا كان بسبب انفراده عند متاعهم

﴿عِندَ﴾ في قولهم: ﴿عِندَ مَتَٰعِنَا﴾ فيه دليل على أنَّ إخوة يوسف ﷺ كانوا يدَّعون حرصًا عظيمًا على أخيهم يوسف أمام أبيهم؛ فكأنَّهم قالوا: إنَّما تركناه عند كلِّ ما قد يحتاج إليه من زاد إكرامًا له، وحرصًا على راحته في وقت استباقنا لأنَّه لا يستطيع الاستباق معنا لحداثة سنِّه.

ويجوز أن يكون الظَّرف ﴿عِندَ﴾ للزَّمان؛ أي وقت متاعنا وانشغالنا ليبيِّنوا أنَّ ما حدث ليوسف كان دون قصد منهم.

(1) رشيد رضا، تفسير المنار: 12/220.
(2) الماوردي، النكت والعيون: 3/14.
(3) الشّعراوي، تفسير الشعراوي: 11/6886.

كما أنَّ نظم الآية يشير إلى ما يكذِّبهم في دعواهم؛ إذ إنَّهم ثبَّتوا أوَّلًا مكان متاعهم، ثمَّ جعلوا يوسف ﷺ عنده، وكأنَّه جزء منه! وكأنَّه خادم لهم يأمرونه بما شاؤوا، ويجعلونه حيث أرادوا. ولو قالوا: تركنا متاعنا عند يوسف لكان دليلًا على أنَّ اهتمامهم منصبٌّ على يوسف، وأنَّهم يرفعون مكانته ويعظِّمون شأنه.. ولكن هيهات!

معنى المتاع، وإيثار التعبير به هنا:

المتاع: ما يُتَمَتَّعُ أي يُنْتَفَعُ به. والمراد به هنا: ثَقَلُهُم من الثِّياب والآنية[1]، وما كان معهم ممَّا يحتاجون إليه في ذلك الوقت من زاد ونحوه[2]؛ أي: الأشياء التي يتمتَّعون بها وينتفعون بها في رحلتهم[3].

المتاع لِلّهوِ والصَّيد أنسب، والزَّاد والرَّحل للسَّفر أوجب

وآثَرَ لَفْظَ المتاع دون غيره كالأثقال أو الأحمال؛ لأنَّه الأنسب لقولهم: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ [يوسف: 12]، وقولهم: ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾، فلمَّا كان مرادهم أن يستبقوا ويرتعوا دون أن يسافروا أو يرتحلوا؛ عبَّروا عمَّا كان معهم في رحلتهم التي قصدوا بها الاستمتاع واللّهو بالمتاع.

وأيضًا ليكون عذرًا لهم عند أبيهم، حتَّى لا يُفهم أنَّهم أثقلوا على أخيهم الصَّغير بالأحمال أو الأثقال أو غيرها. وإنَّما جلس مع المتاع إكرامًا له وصيانة له عن إرهاق الاستباق الذي لا يناسب سنَّه الصَّغيرة كما زعموا!

دلالة الفاء في: ﴿فَأَكَلَهُ﴾:

أرادوا تبرئة أنفسهم فأخبروا أباهم بأمر كان قد تخوَّف منه من قبل

الفاء في قوله: ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ للتَّعقيب؛ أي: أكله عقب ذلك[4]، من غير مضيِّ زمان يُعتاد فيه التَّفقُّد والتَّعهُّد، وحيث لا يكاد يُطرح المتاع عادة إلَّا في مقام يؤمَن فيه الغوائل لم يُعهَد تركه

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/236.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 10/30.
(3) طنطاوي، الوسيط: 7/329.
(4) الشوكاني، فتح القدير: 3/14.

ﷺ عنده من باب الغفلة وترك الحفظ الملتزَم لا سيَّما إذا لم يبرحوه ولم يغيبوا عنه، فكأنَّهم قالوا: إنَّا لم نقصِّر في محافظته، ولم نغفل عن مراقبته، بل تركناه في مأمننا ومجمعنا بمرأى منا؛ لأنَّ ميدان السِّباق لا يكون عادةً إلَّا بحيث يتراءى غاياته، وما فارقناه إلَّا ساعة يسيرة، بيننا وبينه مسافة قصيرة، فكان ما كان[1].

ويجوز أن تكون الفاء هي الفاء السببيَّة؛ فقوله: ﴿فَأَكَلَهُ﴾ معناه: فتسبَّب عن انفراد يوسف أن أكله الذِّئب[2]. وبهذا التَّعبير أرادوا تبرئة أنفسهم فأخبروا أباهم بأمر كان قد تخوَّف منه من قبل، وهو خشيته أن يأكل الذِّئب ولدَه الصغير.

إيثار التعبير بالأكل دون الافتراس:

الدَّلالة على أنَّ الذِّئب قد أتى عليه كلِّه فلم يُبْقِ منه شيئًا

المراد من قولهم: ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾: قتله الذِّئب، ثمَّ أكله دون أن يُبقي منه شيئًا ندفنه[3]؛ أي: جاء الذِّئب فأكله، ولو قالوا: فافترسه الذِّئب، لبقيَ منه شيء يستطيع أبوهم أن يُقيم الدَّليل عليه، ولكنْ ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾؛ يعني: لم يُبقِ منه شيئًا ولم يذر[4].

ولمَّا كان من المعلوم أنَّ الذِّئب لا يبتلع الفرائس كما يبتلعها الحوت، وأنَّه لا يأكل العظام مع اللَّحم، كان ذلك من القرائن التي اعتمد عليها يعقوب ﷺ في ردِّه مقالتهم، وعدم تصديق دعواهم، فقال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾.

دلالة (ال) في: ﴿ٱلذِّئْبُ﴾، والعدول عن النكرة:

تلقَّن الأبناء العذر من كلام أبيهم، فتحرَّموا به

(ال) في ﴿ٱلذِّئْبُ﴾ للعهد الذِّهني؛ وتفيد معنى معهودًا، وهو المذكور آنفًا في قول يعقوب ﷺ: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾، فكأنَّه هو الذِّئب ذاته الذي كان يخشاه يعقوب ﷺ على ولده من قبل.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/259.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 10/30.
(3) طنطاوي، الوسيط: 7/329.
(4) الشوابكة، غرر البيان، ص: 38.

فالحاصل أنَّ إخوة يوسف ﷺ لمَّا سمعوا أباهم ﷺ يذكر الذِّئب أخذوا ذلك من فيه فتحرَّموا به؛ لأنَّه كان أظهر المخاوف عليه[1]، فقالوا: ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾؛ أي: كما ذكرتَ وحذَّرت[2].

وأمَّا لفظ ﴿ٱلذِّئْبُ﴾ [يوسف: 13] في حديث يعقوب ﷺ فيُطلق على أيِّ ذئب؛ فمعناه كمعنى النَّكرة، فقد عرَّفت اللَّام الحقيقة الملاحظة في الذِّهن، ولم تُعَرِّفْ ذِئبًا معيّنًا بشخصه.

وقيل: المراد به هنا: جمع من الذِّئاب؛ حيث زعم إخوة يوسف أنَّ الذِّئاب لم تترك من أخيهم شيئًا، ولذلك لم يقولوا: فدفناه[3].

دلالة الواو في: ﴿وَمَآ﴾:

الواو في: ﴿وَمَآ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ واو الحال؛ أي: والحال أنَّك لستَ ﴿بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾؛ أي: بمصدِّق قولَنا؛ فنحن نعلم أنَّك لا تصدِّقنا في هذه الحالة، ولو كنَّا عندك صادقين، فكيف وأنتَ تتَّهمنا، وغير واثق بقولنا؟[4] فكأنَّه قيل هنا: وما أنت بمؤمن لنا في حال من الأحوال[5]. وفيه دلالة على تكذيبه ﷺ قولهم[6].

البلاغة في دخول النَّفي على الجملة الاسميّة:

التَّعبير بالجملة الاسميَّة يفيد الثُّبوت والدَّوام، وإذا دخلت عليها أداة نفي أفادت تأكيد النَّفي وثبوته وديمومته بغضِّ النَّظر عن زمن الحدث لتجرُّدها منه، بخلاف الجملة الفعليَّة التي إذا صُدِّرت بـ (لن) أفادت نفي الحدث مستقبلًا، دون نفيه في الماضي مثلًا، ودون تعميمه على كلِّ قول.

يعلم إخوة يوسف أنَّ أباهم ﷺ لا يصدِّق كذبهم

(1) الماوردي، النكت والعيون: 3/15.
(2) مأمون حموش، التفسير المأمون: 4/121.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/237.
(4) القاسمي، محاسن التأويل: 6/158 - 159.
(5) الآلوسي، روح المعاني: 6/391.
(6) البقاعي، نظم الدرر: 10/30.

فقولهم: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ أفاد أنَّ عدم تصديق أبيهم إيَّاهم في أمر يوسف ثابت لا يتغيَّر لما أظهروه من عداوته وحسده من قبل، ولما علموه من شدَّة حبِّ أبيهم إيَّاه.

فضلًا عن أنَّ قولهم: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ خبر مستعمل في لازم الفائدة. وهو أنَّ المتكلِّم علم بمضمون الخبر. وهو تعريض بأنَّهم صادقون فيما ادَّعوه لأنَّهم يعلمون أباهم لا يصدِّقهم فيه، فلم يكونوا طامعين بتصديقه إيَّاهم[1].

معنى الباء في: ﴿بِمُؤۡمِنٖ﴾:

الباء في: ﴿بِمُؤۡمِنٖ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾: حرف جرٍّ زائد لتأكيد معنى النَّفي[2]، وهي لنفي الإلصاق؛ أي: ليس تصديقك بمُلابِسٍ قولنا[3]، أي أنَّ حرفًا ممَّا قلناه لن ينطلي عليك فتعتقد صدقه!

دلالة تعدّي فعل الإيمان باللام:

فُسِّر الإيمان بالتَّصديق في قولهم: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾، وهو معناه اللُّغويُّ؛ لذا عُدِّي باللَّام، وأمَّا في معناه الشَّرعيِّ فيتعدَّى بالباء[4].

فتعدية ﴿بِمُؤۡمِنٖ﴾ باللَّام للتَّفرقة بين (آمَن) بمعنى: صدَّق، وبين (آمَن) بمعنى جعله في أَمْنٍ، أي: لا خوف عليه منه، وهذه اللَّام سمَّاها ابن مالك لام التَّبيين وتبعه ابن هشام، وهي تدخل على المفعول لتقوية معنى المفعوليَّة[5].

عـدم تصديق يعقوب عليه السلام بنيه لعدم اطمئنانه إلى قصصهم المكذوبة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/237.
(2) بهجت عبد الواحد، الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل: 5/28.
(3) الهلال، الثري الجامع: 5/322.
(4) الخفاجي، عناية القاضي: 5/161.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/259.

سر التعبير بالإيمان دون التصديق:

الـصِّـدق إعـلام بالحقيقة يسكن عـنـده الـقـلـب، وتـطـمـئنُّ لـديه النَّفس

كان من الممكن أن يقول إخوة يوسف: وما أَنْتَ بمصدِّقٍ لنا ولو كنّا صادِقين، لكنَّ هذا يُغْفِلُ معنًى قَصَدوا التَّعبير عنه، وهو أنَّ أباهم غيرُ مطمئن لمشاعرهم تجاه أخيهم؛ إذْ هو يعلمُ حسَدَهم له، فلو كانوا صادقين حقًّا وصَدَّقهم لما وصلَ تصديقه إلى درجةِ إيمان يُحدِث في القلب الطُّمأْنينة.

لذا قالوا: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ﴾ دون أن يقولوا: (بمصدِّق)، أو كلمة سواها، فلا توجد كلمة تحلُّ محلَّها، فالحاصل أنَّه خُصَّ لفظ ﴿بِمُؤْمِنٍ﴾ بالذِّكر دون بمصدِّق؛ لأجل نكتة في المذكور ترجِّح مجيئه على سواه، وذلك لِما في الإيمان من الزِّيادة في المعنى على التَّصديق، وهذا يُعرف في علم البديع بالتَّنكيت[1]، ولولا ذلك لكان الكلام عرضة للنَّقد.

ففي لفظة ﴿بِمُؤْمِنٍ﴾ من المعنى ما ليس في (مصدِّق)، وذلك أنَّ (مصدِّق) من التَّصديق، وأما ﴿بِمُؤْمِنٍ﴾ فتحمل معنى التَّصديق وإعطاء الأمن، فهم يطلبون تصديقهم وزيادة، وهو الأمن؛ فلهذا جنح إليه ولم يعاقبهم.

أيضًا القرآن لم يقل: وما أنت بمصدِّق لنا ولو كنَّا صادقين، لأنَّه لا يقيم وزنًا للتَّنسيق والتَّنميق والتَّجنيس في الألفاظ إذا كان على حساب المعنى[2].

فائدة جملة ﴿وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾:

صدقهم المزعوم بعيدٌ عن تحقيق الـتَّـصـديـق في نفس أبيهم

قولهم: ﴿وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ تلطُّف عظيم في تقرير ما يحاولونه، يقولون: ونحن نعلم أنَّك لا تصدِّقنا - والحالة هذه - لو كنَّا عندك

(1) التنكيت هو أن تقصد شيئاً دون أشياء، لمعنى من المعاني، ولولا ذلك لكان خطأً من الكلام وفساداً في النقد، ينظر: ابن مقلد، البديع في نقد الشعر، ص: 56.

(2) الشوابكة، غرر البيان، ص: 38.

صادقين، فكيف وأنت تتَّهمنا في ذلك، لأنَّك خشيت أن يأكله الذِّئب، فأكله الذِّئب، فأنت معذور في تكذيبك لنا؛ لغرابة ما وقع، وعجيب ما اتَّفق لنا في أمرنا هذا[1].

فهم لا يريدون أنَّ يعقوب ﷺ لا يصدِّق مَن يعلم أنَّه صادق، فهذا محال؛ إذ لا يوصف الأنبياء ﷺ بذلك، ولكنَّ المعنى: (لو كنَّا عندك من أهل الثِّقة والصِّدق لاتَّهمتنا في يوسف لمحبَّتك إيَّاه، وظننتَ أنَّا قد كذَبناك[2]، فما أنت بمصدِّق لنا وقد وقع بك ما تحذر، ولو كنَّا عندك صادقين مِن قبل غير متَّهَمين لوجب أن تتَّهمنا السَّاعة عند مصيبتك. فكيف وقد كنتَ متَّهِمًا له فيه من قبل؟)[3].

وهذا إيماء بعدم قناعتهم بما يقولون، وإحساسهم بالكذب ضمنًا[4]، ولقد أحسُّوا بأنَّه لن يصدقهم[5].

وفي هذا الكلام منهم فتح باب اتِّهامهم كما لا يخفى على صاحب الذَّوق[6].

تيقَّن الأبناء من تكذيب أبيهم إيَّاهم لتيقُّنهم من كذب أنفسهم

معنى (لو):

(لو) اتصاليَّة، تفيد أنَّ مضمون ما بعدها هو أبعد الأحوال عن تحقُّق مضمون ما قبلها في ذلك الحال؛ ولذلك لا يُذكر معه شيء من سائر الأحوال، ويُكتَفَى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشَّاملة لجميع الأحوال المغايرة لها عند تعدُّدها. والتَّقدير: وما أنت بمؤمن لنا ولو كنَّا صادقين في نفس الأمر؛ أي: نحن نعلم انتفاء إيمانك لنا في الحالين فلا نطمع أن نموِّه عليك[7].

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/375.
(2) الزجاج، معاني القرآن: 3/96.
(3) مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية: 5/3519.
(4) الزحيلي، التفسير المنير: 12/223.
(5) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3810.
(6) القنوجي، فتح البيان: 6/300.
(7) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/259، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/237 - 238.

وتُحمل ﴿وَلَوْ﴾ في الآية بمعنى (إنْ) الواقعة للجزاء، فإنَّك تقول: أنتَ لا تكرمني ولو أكرمتك، تريد (وإنْ)، وعلى ذلك فالمعنى: وما أنت بمؤمن لنا وإن كنَّا صادقين[1].

سرّ التعبير بفعل الكون:

قولهم: ﴿وَلَوْ كُنَّا﴾؛ أي: كونًا هو جبلَّة لنا، فبرغم هذا لن تصدِّقنا أيضًا. وقد عبَّروا باسم الفاعل ﴿صَٰدِقِينَ﴾ دون صدقنا؛ للتَّوكيد على صدقهم وأنَّه صفة راسخة فيهم؛ يريدون: وإن كنَّا من أهل الصِّدق والأمانة بعلمك لأنَّك لم تجرِّب علينا قَطُّ كذبًا، ولا حفظت عنا شيئًا منه جدًّا ولا لعبًا لمَا صدَّقتنا[2].

لا يكاد الكاذب ينطق حرفًا إلَّا ويُعقِبه بوابل من القسم على صدقه لعلمه بكذب نفسه

وهذه مبالغة منهم في نفي تصديق أبيهم لهم؛ لأنَّهم يوقنون أنَّهم كاذبون فيما ادَّعوه.

وأوهموا بقولهم: ﴿وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ أنَّهم صادقون في أكل الذِّئب يوسفَ، فيكون صدقهم مقيَّدًا بهذه النَّازلة. أو من أهل الصِّدق والثِّقة عند يعقوب قبل هذه النَّازلة، لشدَّة محبَّته يوسف ﷺ، فكيف وأنت سيِّئ الظَّنِّ بنا في هذه النَّازلة، غير واثق بقولنا فيها[3]؟

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

العِشاء والمساء:

المساء: بعد الظهر إلى صلاة المغرب أو إلى نصف الليل[4]. أمّا العِشاء فهو أوّل ظلام الليل[5]، وأصله يدلّ على ظلام وقلّة وضوح

المساء فيه ضوء وظلمة والعِشاء فيه ظلمة فقط

(1) الشوابكة، غرر البيان، ص: 38.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 10/30 - 31.
(3) أبو حيَّان، البحر المحيط: 6/250.
(4) الخليل، العين، والأزهري، التهذيب، وابن منظور، اللسان: (مسي).
(5) الخليل، العين، والأزهري، التهذيب: (عشو).

في الشيء، ومعناه المحوريّ: غشاء من الظلمة يغشى الأفق ويحجب الرؤية جزئيًّا[1]. والأعشى: الذي لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار[2].

ودلَّ ما سبق على الفرق بين المساء والعشاء، وهو أنَّ المساء يكون فيه ضوء النّهار ثمّ ظلمة الليل، وأنَّ العِشاء يختصّ بالظلام ولا يكون فيه ضوء النهار، وتُحجَب فيه الرؤية جزئيًّا ويقلّ فيه الوضوح.

وقد جاء إخوة يوسف عليه السلام أباهم في ظلمة الليل؛ لئلّا يتفرَّسَ أبوهم في وجوههم، إذا رآها في ضياء النهار ضدَّ ما جاؤوا به من الاعتذار، وليكونوا أقدرَ وأجرأَ على الاعتذار بالكذب في الظُّلمة، وقد قيل: لا تطلب الحاجة بالليل فإنَّ الحياء في العينين، ولا تعتذر بالنهار من ذنب فتتلجلج في الاعتذار[3]؛ لذا أوثر هنا العِشاءُ دون المساء.

الاستباق والمسارعة:

الاستباق: مأخوذ من السَّبق، وهو في الآية بمعنى التسابق، وأصل السَّبق: التقدُّم في السَّير، ثم يتجوّز به في غيره من التقدُّم[4]، ويدور معناه المحوريّ حول تقدُّم الشيء من بين ما حوله في قوَّةٍ وجِدّ.

الاستباق بين اثنين أو أكثر، والمسارعة مع المفرد أو بين اثنين أو أكثر

ومن السَّبق جاء معنى إعجاز المُلاحِق؛ كالمتسابِقين يريد كلٌّ منهم أن يعجز الآخَر أن يلحقَ به أو يسبقَه أو يصل إلى الهدف قَبله في ما يتسابقون فيه[5].

والسرعة: ضدّ البطء، ويُستعمَل ذلك في الأجسام والأفعال[6].

(1) ابن فارس، المقاييس، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (عشو).
(2) الخليل، العين، والأزهري، التهذيب، والجوهري، الصحاح: (عشو).
(3) البقاعي، نظم الدرر: 10/30، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 9/144، والبغوي، معالم التنزيل: 4/222.
(4) الراغب الأصفهاني، المفردات: (سبق)، والزمخشري، الكشاف: 2/450، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/236.
(5) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (سبق).
(6) الجوهري، الصحاح، وابن فارس، المقاييس، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (سرع).

والمسارعة إلى الشيء: المبادرة إليه[1]، ويدور معناها المحوريّ حول قوَّة النفاذ والاختراق[2].

وممّا سبق يتبيَّن الفرق بين الاستباق والمسارعة، وهو أنَّ الاستباق يحمل معنى إعجاز الملاحِق وتحدِّيه من أجل الوصول إلى هدف معيَّن قَبله، وذلك يحدث بين اثنين أو أكثر؛ فإذا كان في الاستباق سرعةٌ أو مسارَعة، صاحبَها غرضُ الإعجاز وتحقيقُ الهدفِ وبلوغُه أوَّلًا. أمّا المسارعة فلا يُشترَط فيها أن تكون بين اثنين أو أكثر؛ فيُقال سارعَ إلى كذا، أو سارَعوا وتسارَعوا إلى كذا[3]، ولا يلزم أن يكون معها معنى التحدِّي والإعجاز؛ فقد يتسارع قومٌ إلى شيء ولا يُهِمُّ أحدًا مَن وصل إليه أوَّلًا، فإذا تسابقوا كان همُّ كلِّ واحدٍ منهم أن يصِل أوَّلًا.

المتاع والأثاث والرِّياش:

المتاع أعمُّ من الأثاث والرِّياش

الأثاث: متاع البيت الكثير، وهو اسم جمع للأشياء التي تُفرَش في البيوت من وسائد وبُسُط وزَرابيّ، وكلُّها تُنسَج أو تُحشَى بالأصواف والأشعار والأوبار، ويدور معناه المحوريّ حول الكثرة والتجمُّع والالتفاف[4].

والرِّياش: الخِصب والمعاش والمال والأكل والشرب والأثاث واللباس الحسن الفاخر، وأصله يدلُّ على حسنِ الحال، وما يكتسِب الإنسان من الخير[5].

والمتاع: أعمُّ من الأثاث والرِّياش؛ فهو ما يُتمتَّع به ويُنتفَع[6].

(1) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، اللسان: (سرع).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (سرع).
(3) الأزهري، التهذيب، والجوهري، الصحاح، وابن منظور، اللسان: (سرع).
(4) الرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (أثث)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/239.
(5) الخليل، العين، والجوهري، الصحاح، وابن فارس، المقاييس، وابن منظور، لسان العرب، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (ريش).
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/239.

الإيمان والتصديق:

الإيمان: الثِّقة، والتصديق الذي معه أمن[1]، فهو مأخوذ من الأمن الذي هو الطمأنينة[2].

التصديق يُستعمَل في كل خبر، والإيمان في الإخبار عن أمر غائب فقط

ومن ذلك "آمن بالكلام": صدَّقه وقبِله ووثق به فتمكَّن من قلبه[3]. وكلمة ﴿بِمُؤْمِنٍ﴾ المذكورة في الآية فيها مع التصديق إعطاء الأمن، وهذا ليس في (مصدِّق)[4].

والتصديق يستعمل في كل خبر، فيقال لمن أخبر بالأمور المشهودة، مثل: الواحد نصف الاثنين، والسماء فوق الأرض: صدقت، وصدَّقنا بذلك، ولا يقال له: آمنا لك، ولا آمنّا بهذا؛ لأنَّ هذه الأخبار من الأمور المشهودة.

أمّا لفظ الإيمان فلا يُستعمَل إلا في الإخبار عن الأمور الغائبة، كما قال الله تعالى حكايةً عن قول إخوة يوسف لأبيهم: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾؛ أي: بمقرٍّ لنا، ومصدّق لنا، لأنَّهم أخبروه عن أمر غائب[5].

(1) الأزهري، التهذيب، والراغب، المفردات: (أمن)، والكفوي، الكلّيات، ص: 212.
(2) ابن تيمية، الإيمان الأوسط، ص: 120، والأزهري، التهذيب، والراغب، المفردات: (أمن).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (أمن).
(4) الكفويّ، الكليات، ص: 212.
(5) ابن تيمية، الإيمان الأوسط، ص: 120.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 22 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-19-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 22 : المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-19-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3382819 بتاريخ 2024/02/13م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»